جيل الخلاص

بقلم شريف الراس

صحيح ان القلق الصاعق ينهش شعور كل فرد من ابناء هذا الجيل العربي المعاصر ، ولكنه القلق الخلاق ، قلق المبدع العظيم الذي استطاع ان يسمو بجناحيه العملاقين الى مستوى الاحداث الكبرى ، فيعيها الوعي اللائق بها ، ويعيشها آلاما وآمالا وتفكيرا في تسديد الطريق القويم ، وليس قلق الناس التافهين الذين قال عنهم احد قدماء العرب : « زبد جفاء وسيل غثاء ، لكع ولكاع ، وربيطة اتضاع ، هم احدهم الاكل والنوم » . واذا شئنا ترجمة هذا الكلام لقلنا : ان هذا الجيل ، هؤلاء الناس الذين تراهم في الشارع والمقهى والسينما ، والذي لهم اوضاع معاشية مختلفة ، و « ثقافات » مختلفة ، ورتب اجتماعية متفاوتة، ومستويات اعمارية متباينة ، هذا الجيل المعاصر يغمره قلق هائل ، « تجثم فوق وجدانه الضخم غيوم كثيفة من تساؤلات عميقة واصيلة ، ولكنه ليس قلقا سطحيا يتعلق باهداب توافه الامور : كاشباع اللذات العابرة ، وملاحقة الاحلام اللازوردية والتغزل بالورد ومناجاة القمر ، والنوم في سراديب السحر المظلمة ، او خدر الجمود العقلي المترسب وانما هو قلق الامة التي تحس خطورة لحظة الولادة والانجاب والانبعاث ، وانما هو قلق من يعيش في الموت ومن يريد ان يتخلص من شبكة الموت في الحياة، قلق الصراط الرفيع الشاهق : وقفة المجازفة بكل الامكانيات في سبيل قفزة فوق الهوة السحيقة الى ميدان صخري قوي .

وهذه الغيوم الكثيفة التي تجثم فوق وجدان الجيل تريد ان تخنقه ويريد ان يقشعها وهذه التساؤلات العميقة والاصلية التي تسمعها على لسان الفلاح والنجار والمتسابق وراء اللقمة استفهامات ساذجة ورائقة وبريئة ، وتسمعها على لسان الطليعة الشهمة تعبيرات عن المأساة ،مأساةالظلم الكبير الذي تتعاون الدول الاستعمارية والرجعية الداخلية لتثبيته فوق وجودنا ، مأساة البطل الذي يجازف بجميع امكانياته لتثبيت اهداف الخير فوق بقاع العالم ، واذا بزعماء الاستعمار يصورونه على انه « متأخر » و « جاهل » و « فارغ » ، هذه الغيوم النتنه ، وهذه التساؤلات وهذا الشعور باحتراق الاعصاب فوق لهيب المأساة الهائلة ، كل ذلك حصل عند جيل اليوم ، لان الفرد العربي تخلى عن سطحية الحياة ، ولان « الانا » انمحت في بحر وحدة الامة، ولان المثل الاعلى قد اندغم في عروق كل فرد ، ورأسه ما زال مغمورا بضياء المستقبل .

واذ انمحت الانا في بحر وحدة الامة ، واذ كان المثل الاعلى عريقا في التاريخ من جهة، ومنسجما مع آمال الشعوب المعاصرة المحبة للخير من جهة اخرى ، فانك اصبحت ترى كل فرد عربي قد تفتح عن امكانيات امة كبيرة ، واصبحت ترى هذه الامكانيات تتفاعل مع بعضها تفاعلا نضاليا متزايدا في التوسع والشمول ... واذ ذاك لا تعجب اذا ما قرأت في مجلة « النيوزويك » مقالة لمعلق سياسي امريكي اذهلته سوريا : « هذا القطر الصغير ، هذا الشعب الذي لا يزيد عدده عن ثلث سكان نيويورك ، كم هو عجيب ومحير .. لقد دوخنا بدلا من ان ندوخه ... اننا لا نعرف النقطة التي تمسكه منها ... انه من طينة غريبة تستعصي على الامساك » واذ ذاك لا تعجب اذا ما رأيت فلاحي قرية قلقيلية يرابطون عند تخوم الوطن السليب وفي صدر كل

السرطان الذي يؤخر تحقيق الاتحاد بين الدول العربية ، سواء على نطاقه الضيق والواسع . ولا وحدة شاملة بوجود اسرائيل . كما انه لا زوال لاسرائيل بدون الاعتراف بدور مصر الرئيسي في قضية الوحدة الشاملة بالذات . ولا وحدة بدون حياد .

٩ ـ تصفية متناقضات الحياة الاجتماعية ، بالاقلال من اخطار الآلة الحرة على المجتمع العربي ، وتقوية الجيوش المزودة بالعلم والفن ، مظهران من مظاهر كل دولة عربية تسعى نحو الاتحاد ، احدهما كسياسة في الداخل ، القائمة على الاخذ بالبداية الاجتماعية وتخفيض الفروق بين الطبقات باعتماد الضرائب التصاعدية وثانيهما كسياسة خارجية تقوم على مبدأ وضع السيف في موضع السيف ، والندى في موضع الندى .

١٠ ـ من تاريخ الشعوب الحية ، ومن روح الحضارة الحديثة ، القائمة على كلا المذهبين ، ومن خواص الامم والشعوب ، وقوميتنا المنفعلة بالانسانية ، والانسانية التي رائدها السلام الابدي ، ومن الحرص على تجنب الزج بالعروبة ـ كشعب وكقضية ـ في أتون الخلافات الدولية . ومن السعي الذي لا يفتر لجمع الاجزاء العربية ، المتناثرة في دولةاتحادية كمرحلة اولى ، من ذلك كله ، حوافز ومثل ، وبيئات صالحة ، لنقتبس منها معين صورة باسمة ، لغدنا الباسم المرتجى ..

وبعد .. فانا مواطن عربي من سوريا ، لا اجيد البحث في الفلسفة وكذلك لا اريد ان اعوض ذلك النقص ، بالتفلسف ، واذا كان باعي يقصر عن مجاراة الاساتذة الذين تحدثوا في الموضوع ، بعد ان جالوا جولاتهم الموفقة ، فان حسبي ان اشمر عن ساعدي ، واضرب الارض بمعولي ، لنشيد جميعا ، على هذه الارض صرح عروبتنا ، وصرح بقائنا ، وامجادنا التالدة والحاضرة ، والتي لم تطل بعد .. من القادسية ، وحطين ، ومعركة التحرير في الجزائر .. وحتى معركة الصمود في بور سعيد .

حلب **علي بدور**

منهم تحد صارخ لكل قوى الشر العالمية التي تساند اسرائيل وفى نفس كل منهم تشوق للموت فى سبيل رفع الراية ، راية الثار والخلاص . وذات ليلة ركزت اسرائيل كل « قواها » على قلقيلية ، اربعة الاف جندي ، وطائرات ، ودبابات ، وخمسة اطنان ديناميت فجرت حول بيت عربي واحد وخسئت اسرائيل فى النهاية . فقد كان التحدي البطولي اعظم واعظم : كل من كان فى الخنادق يحرس قرية استشهدوا في خنادقهم ، لم يتراجعوا شبرا واحدا ، كانت جنازير الدبابات الضخمة تقترب منهم مجلجلة بالموت فمترسوا صدورهم في وجهها . . فهشمتهم الجنازير الثقيلة وصفحتهم بين ثنايا الخنادق . . . واطنان الديناميت طيرت فى الفضاء البيت الراسخ ومن فيه ، ولكن السور البطولي العظيم ظل صامدا وظل متحديا . . . وصائدو الآذان لا يزالون يزدادون انغماسا فى « هوايتهم » الفذة : يخرج احدهم مساء « انا ذاهب الى الصيد » ثم يعود مع الفجر وجعبته مليئة بآذان، آذان يهود « والا فلم العيش اذن ؟؟ »

وانماء الذات فى بحر الامة العظيمة ، وكون هذه الامة ذات مثل اعلى اصيل وحضاري وانساني ومتسم ببهجة الخلاص الذي يشع من وهج المستقبل دائما ، هو الذي جعل الشرارة تنطلق من كل مكان فى الوطن العربي ، وهو الذي جعل الاشعاع الاول ينبثق من الشرق ، مع الشمس ، من بغداد ذات يوم ، ويشتعل جمرة فى دمشق والقاهرة ، وينتصب سورا جبارا على الحدود ، على كل الحدود ، فى البحرين ، والضفة الغربية ، وبور سعيد ، والجزائر ، وكأنما كان كل حرس السور على موعد ، فالشعارات واحدة والامل واحد . . ومع تجاوب الحرس للنداء يزداد السور صلابة على صلابة ، والرفعة فوق الرفعة ، والتحدي يستدعي التشوق للمعركة الفاصلة ، والوطن العربي اصبح بذلك قلعة ضخمة اسوارها عمالقة ، هاماتهم فوق السحاب واقدامهم جذور في ارض الوطن، هناك يؤججون المعاني الخالدة ، وهنا يمتصون المجد من دفء الارض الحنون ، وعند قلوبهم ، اد تتحطم قوى العدو ، تتسامق المحبة والالم والاخلاص والضجر من الشر وكل ما يمكن ان نسميه عناصر القلق الصاعق . ومن صدورهم تتدفق انهار حمراء ، شلالات من غيظ ورحمه ، من بطش ومحبة، لتنصب فى الخندق الاحمر العظيم المقفل حول الوطن الام او الوطن الحياة . وكم من سفينة اجنبية غرقت في خندق الدفاع هذا ؟ وكم كان ريتشاردز خائبا حين اراد ان يقنع نفسه ويقنع الاستعماريين الامريكيين بان ما داخل السور ليس « فراغا » وانما هو « خليج الحرية » .

وفى خليج الحرية هذا كان الشعب الواحد العظيم يعتقد انه اجتاز بحلم من الاحلام ، فقد كانت انتصاراته الرائعة تتلاحق باسرع مما كان يظن هو نفسه ذات يوم ، ان نشوة الحرية تلعب في الرأس دورا اشدهولا من دوار ايما خمرة . « حتى الفلاحون عندنا اصبحوا يعرفون من هو ايزنهاور وماذا فعل بنا وماذا يريد منا » . والتيارات الشعورية الخصبة التي كانت « بعض الاصابع » توجهها لتنصب حول خرافة وهمية، حول الجن والقوى الغيبية ، حول الاولياء، حول كل ما ليس له علاقة بحياتنا النضالية ، هذه التيارات الشعورية الخصبة عند كل الناس قد انصبت عند عبد الناصر لا تحيد . ربما كانت هذه ابهى تجربة فى التاريخ وانقاها ، اذ ههنا حقا يتجسد معنى « البطل الامة » .

وفى خليج الحرية هذا يعم القلق ، قلق الخلق والابداع ، فالجميع يريدون تفتيح التاريخ ، تفتيح الحياة العربية ومصيرها واقدارها ، والمراهقون يجدون لذة اكبر في التغني ببعض الاناشيد الوطنية ، فهي لصيقة بحياتهم اكثر من الغرام، والشباب فى المقهى قد غيروا من لهجات نكاتهم واصبح مألوفا لديهم ان يمضوا السهرة وهم يناقشون الاحداث و « اسرار الكواليس » مناقشة اناس مسؤولين جديين ، يتلاقون فيسأل بعضهم البعض : « هل لديك معلومات جديدة عن الاردن » ويفترقون وكل منهم مشغول حقا فى تطورات الاوضاع هناك . وكأنما هم رهبان سياسة لا يعرفون عن المرأة شيئا ولا تسمح لهم الظروف بالتعرف على متع الحياة . « ثمة اخطاء كثيرة قد وقعت ولا يجوز السماح بتكرارها » والجميع يعيدون النظر كل يوم في تاريخهم ، وفى سلوكهم ، وفى انسجام هذا السلوك مع التاريخ .

فى الماضي كان الوقت عبئا عليهم ان لم تملأه الاحاديث التافهة والثرثرات والخمول والخدر ، كانوا يقطعون الوقت، فاصبح الوقت يقطعهم : اذ الصليب ثقيل ، وكل منهم يحمل صليبه فوق كتفيه لا يتخلى عنه ، والعبء اضخم من ان ينشغل عنه المرء : « انهم يعضون على انتصاراتهم بالنواجذ » ويسيرون في طريق الخلاص .

فى الماضي كان المثل الاعلى غافيا ، مطمورا تحت اكداس من الخرافات والجهل والعفن والتآمر ، ولهذا كنا نرى اضخم جماهير الشعب تتجمع حول مواكب المتصوفه حيث الرايات السحرية ذات الالغاز المستورة بين ثناياها ، والرقع الباهتة الالوان والسلاسل النحاسية فوق ثناياها ، والبغل فى راس الموكب ، ولفات خضراء كثيرة مبثوثة هنا وهناك . والمزاهر الخشخاشة والتدجيل والسحن المقلوبة وزخمة الشعوذة تهيمن فوق الجميع ، والجماهير تتسابق «للفرجة» يشدهها الخوف من الغيبي وتبيع مصائرها مجانا لتجار المصائر الذين يضحكون على الجميع .

واليوم ، وقد احتضن الشعب المثل الاعلى ، واستيقظت في النفس العربية قوى التمسك بالحرية ، والثأر ، ونشر العدالة والرحمة بين المواطنين فانك اصبحت ترى اضخم جماهير الشعب تتجمع حول موكب شهيد ، تحتضن المثل الاعلى ، تمجد الابطال ، تتفاعل تفاعلا بناء ، تتوحد ، تعيش مآسيها ، تعرف عدوها ، وتسير فى طريق الخلاص .

انه جيل الخلاص .

حماه — **شريف الراس**